



عيون البصائر

الصرح التعليمي الامثل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، أحمده سبحانه وأشكره على ما أولانا من كثير الهبات والنعم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عظيم الرحمة شديد النقم ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله أوتي جوامع الكلم فبلغ عن ربه شريعته بأفصح لسان وهدى وعلم فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .أما بعد

جدير بنا في موقع عيون البصائرالصرح التعليمي الامثل في الجزائر وكذلك الطاقم الاداري والشعب الجزائري كله أن نذكر عبد الحميد بن باديس كلما أظننا يوم 16 أفريل [نيسان]، فلقد كان رحمه الله أمة وحده،

وقد وهب حياته في خدمة الجزائر وكرس حياته في العلم والمعرفة وبتصالاته بكبار العلماء، عاملاً على نشر العربية والإسلام وجميع مقومات الشخصية الجزائرية، ولقي في سبيل ذلك جفاء الأقرين، وحرب الأبعدين، فما كلَّ ولا ملَّ ولا استسلم حتى فارق الحياة. لذلك أرى من واجب الوفاء تجديد ذكراه وتقديم لمحات من حياته للجيل الصاعد المعتر بالعروبة والإسلام عساه أن يتخذ من حياة هذا الرجل العظيم مثالاً احتذاءً ومنازاً اقتداءً.

ولادته ونشأته:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن بركات بن عبد الرحمان بن باديس عاصمة الشرق الجزائري الصنهاجي. ولد بمدينة [قسنطينة](#) **4** هـ الموافق لـ **1307** [ربيع الثاني 11](#) يوم الأربعاء م على الساعة الرابعة بعد الظهر، وسجل **1889** [ديسمبر](#) يوم الخميس **12** ربيع الثاني **1307** هـ الموافق لـ **5** ديسمبر **1889** م في سجلات الحالة المدنية التي أصبحت منظمة وفي أرقى صورة بالنسبة لذلك العهد كون الفرنسيين أتموا ضبطها سنة **1886** م. نشأ ابن وهو ابن ثلاث عشرة باديس في بيئة علمية، فقد حفظ [القرآن](#) سنة، ثم تتلمذ على الشيخ [أحمد أبو حمدان الونيسي](#)، فكان من أوائل

الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له: "اقرأ العلم ، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف "للعلم لا للوظيفة وقد عرف دائماً بدفاعه عن مطالب .الحكومية عند [فرنسا](#) عبد الحميد ابن باديس ظاهرة .السكان المسلمين في [قسنطينة](#) عرفها التاريخ وعرفتها الجزائر، وهكذا ترعرع في أسرة لها تالد من علم وفضل يشهد به تاريخ الجزائر من عهد المعز بن باديس الصنهاجي إلى العهد العثماني، حيث كان أبو العباس أحميدة بن باديس من أشهر قضاة قسنطينة وأفاضل علمائها، غير أن العصور المظلمة قضت على ما كانت تتمتع به هذه الأسرة وغيرها من الأسر الجزائرية من علم ومجد وبطولة ورجولة، وكمنت تلك الخصائص والميزات إلى أن تجلت في عبد الحميد فكان همزة وصل ربط الأواخر بالأوائل، وجدد أمجاد الجزائر وأزال عنها غبار الخمول والنسيان.

تعلمه:

حفظ القرآن على الشيخ محمد بن الماداسي، وتلقى مبادئ العلوم على الشيخ حمدان الونيسي بجامعة سيدي محمد بن النجار بقسنطينة وقد أخذ عليه عهداً بأن لا يعمل عملاً للحكومة ولا ينخرط في وظائفها، ووفى عبد الحميد بهذا العهد وأخذ على بعض تلامذته الذين توسم فيهم خدمة الصالح العام.

هجرته في طلب العلم

هاجر شيخه حمدان إلى الحجاز فتاقت نفس عبد الحميد إلى جامع الزيتونة فذهب إليه سنة 1908 فتلقى العلم على علمائه حتى أحرز على شهادة التطويق في العلوم ، وهي من أكبر الشهادات العلمية في ذلك العهد، وكان من شيوخه الذين لهم أثر في توجيهه العلمي الشيخ محمد النخلي رحمه الله ، والشيخ الطاهر بن عاشور حفظه الله.

سفره إلى الشرق

ما كاد يستقر بقسنطينة بعد عودته من تونس سنة 1912 حتى تحركت في نفسه دواعي التشوق إلى البقاع المقدسة، فحج واعتمر وجدد العهد بشيخه حمدان وزوده هذا برسالة إلى الشيخ محمد بخيت أحد علماء عصره في مصر، فاتصل به وبكبار الشيوخ، ورجع من هنالك بإجازات وأسانيد.

مباشرة للتدريس

عاد إلى قسنطينة ورابط بمسجد سيدي قموش يقضي بياض يومه في تعليم الشبان مبادئ العلوم والإسلام الصحيح، ويوجههم التوجيه الحسن. وعند إقبال الليل يلتفت إلى الكهول والشيوخ الملتفين حوله بالجامع

الأخضر يدعوهم إلى الله على بصيرة ويذكرهم بأيام الله. فكانت مجالس دروسه كثيرة الزحام، تخرجت عليه طبقة من العلماء والأدباء امتازوا بعمق التفكير وصدق التعبير فكانوا بحق رواد النهضة الجزائرية في العلم والأدب والوطنية.

اشتغاله بالصحافة:

كان من مؤسسي جريدة النجاح، ثم تخلى عنها، وأسس سنة 1925 جريدة المنتقد، وتولى رئاسة تحريرها وأسند إدارتها للشهيد أحمد بوشمال، وكان من كتابها الشيخ مبارك الملي، والشيخ الطيب العقبي، رحمهما الله، وقد نشرت في عددها السادس مقالاً للملي تحت عنوان «العقل الجزائري في خطر»، كما نشرت في عددها الثامن قصيدة للعقبي تحت عنوان «إلى الدين الخالص» ومثل هذه القصيدة وذلك المقال يعد جراءة كبرى في ذلك العهد لتناولهما العادات المألوفة بالنقد والتجريح. وسارت على خطتها حتى عطلت بقرار بعدما برز منها ثمانية عشر عدداً؛ فأصدر بعد ذلك جريدة الشهاب على خطة المنتقد ومبادئه، فلاقت في سبيل ذلك ما لاقت من العناء والصعوبات قلم تلن قناتها لغامز، وتحالفت قوى الرجعية وكل هامز لامز على عبد الحميد حتى أصبح مهدداً في حياته.

محاولة اغتياله:

ففي سنة 1927 بينما هو متوجه إلى سكنه بعد خروجه من درس التفسير ليلاً، إذا بأحد الجناة يحاول اغتياله، فاستغاث الشيخ فألقى الناس القبض على الجاني قبل إتمام الجريمة، فهناً الشعراء الشيخ بالنجاة، وما زلت أذكر طالع قصيدة محمد العيد:

حمئك يدُ المولى وكنتَ بها أولى * فيا لك من شيخ حمته
يدُ المولى

مكانة الشهاب:

للشهاب مكانة مرموقة في الشمال الإفريقي ، فما زلتُ أذكر أن الشيخ مصطفى بن شعبان بتونس رحمه الله كان يكتب في جريدة الشهاب ويعمل على نشرها كان يكتب فيها من المغرب الأقصى ويعمل على نشرها الأستاذ علال الفاسي والفقير غازي وغيرهم من شباب الأمس وشيوخ اليوم، وأذكر أن مما نشرته الشهاب إذ ذاك:

الشاب السيد علال قصيدة طالعها

أبعد مرور الخمس عشرة ألبُ

وذلك في سنة 1927، وقد استحوالت الشهاب من جريدة أسبوعية إلى مجلة شهرية فكانت سجلاً لتاريخ الجزائر العلمي والسياسي في عصر الانبعاث أو في الفترة التي كانت بين الحرب الكبرى والحرب الأخيرة ، وكان يحرر فيها فصل : (في المجتمع الجزائري) أحمد (توفيق المدني غالباً ويحرر فصل : (الشهر السياسي دائماً، ويحرر عبد الحميد القسم الديني والقسم العلمي من المجلة وأهمها مجالس التذكير التي تسعى وزارة الأوقاف حالياً في جمعها ونشرها كما تولت طبع ونشر مجموعة دروسه في علم التوحيد على الطريقة السلفية.

عبد الحميد ونادي الترقى :

في سنة 1927 أسس السادة الحاج ممد المنصالي ، محمود بن ونيش ، عمر الموهوب ، أحمد توفيق المدني ، وبعض الإخوان نادي الترقى ، فكان النادي ملتقى النخبة المفكرة سواء من كان منهم مقيماً بالعاصمة أو من كان وافداً عليها من الخارج. وكانت تلقى فيه المحاضرات والمسامرات ، وتقام فيه الحفلات ، فكان عبد الحميد كلما جاء إلى الجزائر يحاضر فيه أو يسامر أو يجتمع فيه بالشباب الناهض المتوثب من طلبة العلم والمفكرين ، فكان النادي بذرة صالحة للنهضة الجزائرية.

ولقد تكونت لجنة تحضيرية فيه انبثقت عنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكان كاتب اللجنة الشيخ أحمد توفيق المدني ورئيسها السيد عمر إسماعيل رحمه الله.

عبد الحميد رئيس جمعية العلماء :

تأسست جمعية العلماء بعد الاحتفال بمضي قرن على احتلال الجزائر فكان ذلك رداً عملياً على المحتفلين الذين كانت أصواتهم تردد الجزائر فرنسية وكان شعار العلماء المصلحين "الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا" ، وقد ظهر هذا الشعار أول ما ظهر مكتوباً على كتاب الجزائر للشيخ أحمد توفيق ، ثم تناولته الألسنة والأقلام ولقن للتلامذة في المدارس وذلك سنة 1931، وفي 5 ماي [أيار] من هذه السنة اجتمع علماء القطر الجزائري بنادي الترقى فأسسوا جمعية العلماء وأسندوا رئاستها إلى عبد الحميد بن باديس بإجماع ، وكان غائباً حيث لم يحضر معهم في اليوم الأول ولا في اليوم الثاني ، وفي اليوم الثالث جاء إلى الاجتماع وألقى كلمة جاء فيها:

إخواني ، إنني قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الأول " والثاني فحرمتم خيراً كثيراً ، وتحملت إثماً كبيراً ، ولعلكم تعذرونني لما لحقت في اليوم الثالث، وأذكر لحضراتكم

ما تعلمونه من قصة أبي خيثمة الأنصاري لما تخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ثم لحقه فقال الناس هذا راكب يرفعه الإل ويضعه ، فقال رسول هو :الله صلى الله عليه وآله وسلم : كن أبا خيثمة ، فقالوا أبو خيثمة ، فاعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره ودعا له بخير . ومثلكم من كان له في رسول الله هكذا كان يستلهم " صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة أقواله وأفعاله من السنة النبوية

وألقى خطاباً آخر في ذلك الاجتماع عندما باشر مهام
الرئاسة ، هذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله " وصحبه ومن والاه. إخواني، إنني ما كنت أعد نفسي أهلاً للرئاسة لو كنتُ حاضراً يوم الاجتماع الأول ، فكيف تخطر لي بالبال وأنا غائب ؟ لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم وسمو أنظاركم جئتم بخلاف اعتقادي في الأمرين فانتخبتموني للرئاسة

إخواني ، كنت أعد نفسي ملكاً للجزائر أما اليوم فقد زدتم في عنقي ملكية أخرى ، فالله أسأل أن يقدرني على القيام
بالحق الواجب

إخواني إنني أراكم في علمكم واستقامة تفكيركم لم
تنتخبوني لشخصي، وإنما أردتم أن تشيروا بانتخابي إلى
وصفين عرف بهما أخوكم الضعيف هذا: الأول إنني
قَصَرْتُ وقتي على التعليم فلا شغل لي سواه فأردتم أن
ترمزوا إلى تكريم التعليم اظهراً لمقصد من أعظم
مقاصد الجمعية وحثاً لجميع الأعضاء على العناية به كل
بجهد ، الثاني: أن هذا العبد له فكرة معروفة ، وهو لن
يحيد عنها ولكنها يبلغها بالتي هي أحسن ، فمن قبلها فهو
أخ في الله ، ومن ردها فهو أخ في الله، فالأخوة في الله
فوق ما يقبل وما يرد ، فأردتم أن ترمزوا بانتخابي إلى
هذا الأصل ، وهو أن الاختلاف في الشيء الخاص لا
"يمس روح الأخوة في الأمر العام"

هذا مبدأ عبد الحميد في الحياة. فالرجل قرآني ورباني
استمد هذا من قول الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).
وهذه الطريقة كان يسلكها مع جميع الناس سواء أكانوا
من تلامذته ومريديه ، أم من خصوم فكرته ومناوئيه،
ورغم هذا فلم تمض سنة على تأسيس جمعية العلماء
حتى دخلت في معارك حامية مع أذئاب الاستعمار ومع
أصحاب البدع والخرافات، وأخذت تؤسس المدارس
الابتدائية لتعليم الدين واللغة، وترسل وفود الوعاظ
يجولون المدن والقرى، وكان عبد الحميد أسس بقسنطينة
مدرسة التربية والتعليم وجعل لها فروعاً في القطاع
القسنطيني وكاد التعليم يعم المداشر والقرى ، فأوجست

الحكومة الفرنسية خيفة في نفسها فعملت غالبية المدارس، وزجت ببعض المعلمين في السجون وحاكمتهم محاكمة المجرمين، فكان عبد الحميد يشجع أبناء المعلمين على المقاومة ويثير حماس الجماهير، ويحتج على هذه المعاملة

طريقته في الاحتجاج على الحكومة

له في الاحتجاج طريقتان: الأولى باسمه رئيس جمعية العلماء وهي الاحتجاجات التي لا تخرج عن دائرة القانون ، الثانية باسمه الخاص وهي الاحتجاجات اللاذعة التي يصف فيها الاستعمار بكل نقيصة، ويفضح فيها مكائده ويكشف مخازيه. وسألناه مرة لماذا هذه التفرقة في الاحتجاجات؟ فقال: الاحتجاجات التي أمضيها باسم جمعية العلماء أحافظ فيها على الجمعية، والاحتجاجات التي أمضيها باسمي لا أحافظ فيها على سبتمبر 27 شخصي. ولمح إلى هذا في خطاب ألقاه في [أيلول] 1936 إثر اجتماع الجمعية العامة حيث قال

إن هذا العبد الضعيف يقدم بلسان العجز الشكر " لأعضاء الإدارة إخوانه أن قدموه للرئاسة وجددوا له ثقتهم به هذا مع علمه بعبء الرئاسة الثقيل وما يلزم لها من التضحية التي هي أول شروط الرئاسة. ولقد قال
:الهدلي

فإن رئاسة الأقسام فاعلم * لها سعداء مطلعها طويل

وإن هذا العبد الضعيف لثقته في الله وقوته بالله واعتزازه
بقومه واعتماده بعد الله على إخوانه لمستعد لهذه
السعداء وإن طال مطلعها وطال. " ثم قال: "إن ميدان
العمل في هذه الجمعية لميدان واسع وهنالك للعمل
ميادين أخرى لا أدخلها باسمها. ولكن (إن كان فيها
منفعة) أدخلها باسمي إن كان عند قومي قيمة لاسمي،
وأرجو أن يعينني الله عليها. أيها الإخوان! إن على كل
رئيس حقاً وقد قال الأحنف بن قيس:

إن على كل رئيس حقاً * أن يخضب السعداء أو تندقا

والسعداء هي الرمح يريد أنها تخضب بالدماء أو تنكسر
وتندق في يده أثناء محاربتة الأعداء. ولكن سعدتنا نحن
التي نخضبها هي القلم (وخضايه الحبر) ولكنه لا يندق
هذا القلم حتى تندق أمامه جبال من الباطل.

وإن من الحق أن نتأدب بالأدب النبوي ومنه أن لا نتمنى
لقاء العدو فإذا لقيناهم فلنصبر والله معنا

عبد الحميد بن باديس والمؤتمر الإسلامي

تهاتف كثير من رجال السياسة على الاندماج ورأوا أنه الطريقة الوحيدة التي تصل بها الجزائر إلى حقوقها المسلوبة ، ومن بين هؤلاء نواب يرون أن لا حق لأحد أن يتكلم في السياسة الجزائرية سواهم وان لهم البت في مصير الأمة، والأمة غائبة عن الميدان، فنشر عبد الحميد آراء له في السياسة الجزائرية في جريدة لادفانس) "الدفاع" التي كان يصدرها الأستاذ العمودي (رحمه الله باللسان الفرنسي وذلك في عدد 2 جانفي [كانون الثاني] 1936، وكان من تلك الآراء عقد مؤتمر إسلامي جزائري لأن المرجع في مسائل الأمة هو الأمة، والواسطة لذلك هي المؤتمرات ، فبقيت الفكرة تتردد في النوادي حتى فازت الجبهة الشعبية بفرنسا في تلك الانتخابات فتأسس المؤتمر الإسلامي الجزائري يوم حزيران] سنة 1936 وكان غالبية من به من [7 جوان دعاء الاندماج وأنصار مشروع بلوم فيوليت. وقرر العلماء أن يشارك فيه الشيوخ عبد الحميد بن باديس، الطيب العقبي، البشير الإبراهيمي، محمد خير الدين وغيرهم من العلماء باسمهم الخاص، وقد كان لمشاركة العلماء أثر فعال في تعطيل الاندماج وإبراز الذاتية الإسلامية العربية الجزائرية، حيث جاء في مطالب

:المؤتمر ما يلي

- المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح
هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية ومطابقة لروح
القانون الإسلامي.

- فصل الدولة عن الدولة بصفة تامة وتنفيذ هذا القانون
حسب مفهومه ومنطوقه.

- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية -
تتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيساً
صحيحاً.

- إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل -
استثنائية وإلغاء اعتبارها لغة أجنبية

حينئذ علم دعاة الاندماج أنهم أخذوا على غرة، وأن هذه
المطالب التي قدمها العلماء وأيدها الشعب قد أفسدت
عليهم تدبيرهم. وقالوا: العلماء يجهلون السياسة فما
معنى مشاركتهم فيها؟ إنهم لرجعيون وو.. فأجابهم
الأستاذ إبراهيمي حفظه الله إذا ذاك على صفحات
الشهاب، وكان مما قاله لهم

إن العلماء الذين تعنون من الأمة في الواقع ..فويحكم"
والحقيقة في حال أنكم لا تعدون منها إلا على الزعم

والدعوى، وأن العلماء يمثلون الوصف الذي ما كانت الأمة أمة إلا به وهو الإسلام ولسانه. وأن مطالب الأمة التي رفعت صوتها بها في المؤتمر ترجع إلى أصول أربعة: الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد، وأن لكل مطلب من هذه المطالب فروعاً متشابكة وأن كل أصل من هذه الأصول يحتاج إلى بحوث ودراسات تفتقر إلى كفايات واختصاصات، وإذا كان في نواب الأمة ومفكريها من فيه الكفاءة والمؤهلات لدراسة المطالب السياسية ووصل مقدماتها بنتائجها وإعطاء رأي ناضج فيها، أو كان في فلاحينا وتجارنا من نعتمد عليه وعلى رأيه في المطالب الاقتصادية مثلاً، فمن للمطالب الدينية "وما يتبعها من اللغة العربية غير العلماء؟"

وفد المؤتمر إلى باريس:

شكل المؤتمر وفداً إلى فرنسا لتقديم المطالب إلى الحكومة الفرنسية، وكان عبد الحميد من أعضاء الوفد. ذهب الوفد يوم 18 جويليت (تموز) 1936 وشرح القضية في النوادي السياسية واتصل بالوزراء ورؤساء الأحزاب، وصارحه م. دالادي وزير الحربية إذ ذاك أنه لا يمكنه أن يوافق على إعطاء المسلمين الجزائريين النيابة في البرلمان مع محافظتهم على الشريعة الإسلامية في الحقوق الشخصية، وقال لهم إن فرنسا معها مدافع، فقال له عبد الحميد: والجزائر معها الله

فقفل الوفد إلى الجزائر وهو بين اليأس والرجاء، بل هو إلى اليأس أقرب. وكتب عبد الحميد مقالاً في الشهاب: وصف فيه تلك المقابلات ختمه بقول الشاعر:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران
إن كان يعقل

ويركب هذا السيف من أن تضيمه * إذا لم يكن عن
شفرة السيف مزجل

الحرية الكاملة في تعلم اللغة العربية. وبهذا أخفق - المؤتمر الإسلامي، ومرجع إخفاقه إلى مشاركة العلماء فيه، فلجنة قسنطينة طلبت من عبد الحميد أن يضع لها من المطالب ما لا ينافي الإسلام فوضع مطالب منها: "المساواة في الحقوق السياسية مع المحافظة على جميع الذاتية، وهذا الذي أقره المؤتمر بإجماع، وبه سقطت جميع المشاريع "الأبروجيات" كما قال عبد الحميد رحمه الله.

شبح الحرب الأخيرة، وأثره في نفس عبد الحميد

في سنة 1937 تكاثفت السحب في سماء السياسة العالمية فظن الناس أنهم من الحرب قاب قوسين أو أدنى، فبعثت جمعية الميعاد الخيري (هيئة متكونة من

الأغوات والقياد) وبعثت جماعة اتحاد الزوايا وغيرها من الهيئات برقية ولاء وتأييد للحكومة الفرنسية، وشذت جمعية العلماء عن ذلك فكبر ذاك على الإفرنسيين، فأوعزوا إلى من يعد العلماء ويمنيهم ويرغب منهم إرسال برقية ولاء ليظهر المسلمون الجزائريون مظهر اتحاد ووافق في موالة فرنسا، وخاطبوا في ذلك الشيخ الطيب العقبي رحمه الله فعرض القضية على الشيخ عبد الحميد فقال سينعقد الاجتماع العام للجمعية في هذه الأيام، وطبعاً يتقدم ذلك اجتماع المجلس الإداري، وسأضع هذا الاقتراح في اجتماعه ليقول الأعضاء الإداريون كلمتهم.

وفي الاجتماع الإداري طرح عبد الحميد القضية بهدوء وطلب من الأعضاء إبداء آرائهم فكانت غالبية الآراء ضد كتابة البرقية واستصوب العقبي إرسالها وقال الحرب على الأبواب وإرسال البرقية يخفف من حدة الفرنسيين فتسلم مدارسنا ونوادينا ومشاريعنا الخيرية، ونبقى على اتصال بأممتنا ولو في زمن الحرب، وأخذ يدافع عن نظريته، فعارضه كثير من الأعضاء، وعبد ولما طالت المناقشة طلب عبد الحميد معتصم بالسكوت الحميد من الأعضاء التصويت برفع الأيدي، فكانت النتيجة أربعة أصوات منهم العقبي يقولون بإرسالها، واثني عشر يقولون بعدم إرسالها، واحتفظ عبد الحميد

بصوته، ولما انتهت المناقشة حمد الله وأثنى عليه، وكان
مما قاله:

لو كانت أغلبيتكم تؤيد إرسال البرقية ما كنتم ترونني " في مجلسكم هذا بعد اليوم." وانتقلت القضية من الاجتماع الإداري الخاص بالأعضاء الإداريين إلى الاجتماع العام الذي حضره الجماهير، فقال عبد الحميد أقول صراحة - واجتماعنا هذا لا " :على رؤوس الملائكة يخلو من جواسيس رسميين أو غير رسميين- إني لن أمضي البرقية ولن أرسلها ولو قطعوا رأسي، وماذا تستطيع فرنسا أن تعمل؟ إن لنا حياتين حياة مادية وحياة أدبية روحية، فتستطيع القضاء على حياتنا المادية بقتلنا ونفينا وسجننا وتشريدنا، ولن تستطيع القضاء على عقيدتنا وسمعتنا وشرفنا فتحشرنا في زمرة المتملقين، "إننا قررنا السكوت

نتج عن هذه الحادثة استعفاء الشيخ الطيب العقبي من العضوية الإدارية لجمعية العلماء. وقال المسؤولون الفرنسيون ما معنى السكوت؟ السكوت دعوة صارخة إلى عدم التأيد، وقال الخصوم: هل أصبح العلماء دولة فهم محائدون؟ وغير ذلك من عبارات التهكم والتحريش. فاشتدت معاكستهم للجمعية وحربهم لها حتى اندلعت الحرب الثانية، وبعد أسبوعين من اندلاعها فرضت

الإدارة الإقامة الجبرية على الحميد في قسنطينة ومنعوه
من مغادرتها.

تفكيره في الثورة

أيامَ اشتعال الحرب اجتمعتُ به لآخر مرة بنادي الترقّي
وكان حاضر الاجتماع تلميذه الشيخ محمد بن الصادق
الملياني ليس غير، وبعدهما تحدثنا معه في مواضيع
خاصة وعامة انتفض رحمه الله وقال: "هل لكم أن
تعاهدوني؟" فقال له الشيخ محمد الملياني: "لا أستطيع
إذا " :قبل أن أعرف" ثم توجه إلي وقال: "وأنت؟" فقلت
كان على شيء أنت فيه معي فإني أعاهدك"، قال: "طبعاً
أنا لا أكلف غيري بما لا أكلف به نفسي". فمددتُ يدي
وصافحته وقلت: إني أعاهدك ولكن على ماذا؟ قال:
"إني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها
إيطاليا الحرب". ثم افترقنا ولم يعد بعدها إلى الجزائر.
وهكذا كانت نيته. ولست أدري كيف تكون الحالة لو
عاش فينا إلى ذلك الحين.

طريقته في العمل

يطوف ببعض أنحاء الجزائر للوعظ والتذكير وتفقد
والنظام الذي كان يسير. الرفقاء وتوجيههم كل أسبوع
عليه هو: أن دروسه تبتدئ صباح السبت وتنتهي مساءً

الأربعاء، وفي ذلك المساء يغادر قسنطينة وما يعود إليها إلا صباح السبت حيث يستأنف التدريس، فتارة يقضي يومي عطلة الأسبوع بالجزائر، وتارة بتلمسان وتارة ببسكرة أو غيرها من البلدان. فكانت أيام الأسبوع بالنسبة إليه أيام عمل لا تخلو من مفيد أو جديد، بالإضافة إلى ما يقوم به من مشاركة أعضاء جمعية العلماء في تحرير الجريدة التي تصدرها الجمعية بلسانها.

صموده وثباته إلى أن مات

حاول الفرنسيون أيام الحرب أخذ مدرسة التربية والتعليم وإحلال اللغة الفرنسية فيها محل اللغة العربية، فقال لهم: لا أسمح بهذا حتى أموت دونه. فحاولوا الحصول منه على كلمة يشم منها رائحة تأييد في حربهم مع الألمان **أفريل 16** فما استطاعوا، حتى أسلم الروح لباريها يوم **[نيسان] 1940** أثر مرض لازم فيه الفراش اياماً معدودات، وحامت الأقاويل حول موته، فمن قائل مات مسموماً ومن قائل أنه مات موتة طبيعية — ولا يعلم الحقيقة إلا الله- وذلك شأن الناس عند موت كل عظيم

في جامع الزيتونة

م قرر ابن باديس - وهو الشاب **1908** في عام المتعطش للعلم- أن يبدأ رحلته العلمية الأولى إلى تونس، الذي كان مقراً كبيراً للعلم والعلماء وفي رحاب جامع الزيتونة وفي الزيتونة تفتحت آفاقه، في مصر يُشبهه في ذلك الأزهر وعباً من العلم عباً، والتقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير الذي كبير في شخصيته وتوجهاته، مثل الشيخ محمد النخلي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشيوخ، وأبان له عن المنهج الصحيح في فهم حب العربية القرآن. كما أثار فيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الاهتمام وتذوق جمالها، ويرجع الفضل للشيخ البشير صفر بالتاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفية التخلص من الاستعمار الغربي وآثاره.

م وبقي عاماً آخر **1912** عام تخرج الشيخ من الزيتونة للتدريس حسب ما تقتضيه تقاليد هذه الجامعة، وعندما رجع إلى الجزائر شرع على الفور بإلقاء دروس في الجامع الكبير في قسنطينة، ولكن خصوم الإصلاح تحركوا لمنعه، فقرر القيام برحلة ثانية لزيارة أقطار المشرق العربي.

في المدينة النبوية

بعد أداء فريضة الحج مكث الشيخ ابن باديس في [المدينة المنورة](#) ثلاثة أشهر، ألقى خلالها دروساً في [المسجد النبوي](#)، والتقى بشيخه السابق أبو حمدان الونيسي وتعرف على رفيق وكان هذا .دربه ونضاله فيما بعد الشيخ [البشير الإبراهيمي](#) التعارف من أنعم اللقاءات وأبركها، فقد تحادثا طويلاً عن طرق الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك. وفي المدينة اقترح عليه شيخه الونيسي المقيم في الإقامة والهجرة الدائمة، ولكن الشيخ [حسين أحمد الهندي](#) المدينة أشار عليه بالرجوع للجزائر لحاجتها إليه. زار واجتمع بلاد الشام [ومصر](#) ابن باديس بعد مغادرته [الحجاز](#) برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة السلفية، وزار [الأزهر](#) حاملاً له رسالة من الشيخ واتصل بالشيخ [بخيت المطيعي](#) الونيسي.

العودة إلى الجزائر

م واستقر في [1913](#) وصل ابن باديس إلى الجزائر عام مدينة [قسنطينة](#)، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار، وكان المسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، واهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع عام بوجهة واحدة، فاتجه إلى الصحافة، وأصدر [جريدة المنتقد](#) م وأغلقت بعد العدد الثامن عشر؛ فأصدر [جريدة](#) [1925](#) الأسبوعية، التي بث فيها آراءه في الإصلاح، [الشهاب](#)

م ثم تحولت إلى **1929** واستمرت كجريدة حتى عام مجلة شهرية علمية، وكان شعارها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها"، وتوقفت المجلة في شهر م) بسبب اندلاع **1939** شعبان **1328** هـ (أيلول عام الحرب العالمية الثانية، وحتى لا يكتب فيها أي شيء م **1936** تريده الإدارة الفرنسية تأييداً لها، وفي سنة دعا إلى مؤتمر إسلامي يضم التنظيمات السياسية كافة من أجل دراسة قضية الجزائر، وقد وجه دعوته من التي تصدر بالفرنسية، واستجابت خلال جريدة لاديفانس أكثر التنظيمات السياسية لدعوته وكذلك بعض الشخصيات المستقلة، وأسفر المؤتمر عن المطالبة ببعض الحقوق للجزائر، وتشكيل وفد سافر إلى فرنسا لعرض هذه المطالب وكان من ضمن هذا الوفد ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي ممثلين لجمعية العلماء، ولكن فرنسا لم تستجب لأي مطلب وفشلت مهمة الوفد.

العوامل المؤثرة في شخصية ابن باديس

لا شك أن البيئة الأولى لها أثر كبير في تكوين شخصية الإنسان، وفي بلد كالجزائر عندما يتفتح ذهن المسلم على معاناته من فرنسا، وعن معاناته من الجهل والاستسلام للبدع-فسيكون هذا من أقوى البواعث لأصحاب الهمم وذوي الإحساس المرهف على القلق الذي لا يهدأ حتى

يحقق لدينه ولأمتة ما يعتبره واجباً عليه، وكان ابن باديس من هذا النوع. وإن بروز شخصية كابن باديس من بيئة ثرية ذات وجاهة لهو دليل على إحساسه الكبير تجاه الظلم والظالمين، وكان بإمكانه أن يكون موظفاً كبيراً ويعيش هادئاً مرتاح البال ولكنه اختار طريق المصلحين.

وتأتي البيئة العلمية التي صقلت شخصيته وهذبت مناحيه والفضل الأكبر يعود إلى الفترة الزيتونية ورحلته الثانية إلى الحجاز والشام حيث تعرف على المفكرين والعلماء وما دعا إليه من الذين تأثروا بدعوة الشيخ [محمد بن عبد الوهاب](#) التي يصدرها الشيخ نقاء العقيدة وصفائها. وكان [لمجلة المنار](#) أثر قوي في النظر لمشكلات المسلمين المعاصرة [رشيد رضا](#) والحلول المطروحة.

ومما شجع ابن باديس وأمضى عزيمته وجود هذه العصابة المؤمنة حوله-وقد وصفهم هو بالأسود الكبار- من العلماء والدعاة أمثال الإبراهيمي والتبسي والعقبي والميلي. وقد عملوا معه في انسجام قلّ أن يوجد مثله في الهيئات الأخرى.

آثار ابن باديس

شخصية ابن باديس شخصية غنية ثرية و من الصعوبة
في حيز ضيق من الكتابة الإمام بكل أبعادها و آثارها ؛
فهو مجدد و مصلح يدعو إلى نهضة المسلمين و يعلم
:كيف تكون النهضة. يقول

إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله و رسوله
إذا كانت لهم قوّة ، و إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر
و تدبر و تتشاور و تتأثر ، و تنهض لجلب المصلحة و
لدفع المضرّة ، متساندة في العمل عن فكر و عزيمة

الشيخ عبد الحميد ابن باديس (يسارا) و الشيخ الطيّب
(العقبى) يمينا

و هو عالم مفسّر ، فسّر القرآن الكريم كلّه خلال خمس و
خلال عشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح [موطأ مالك](#)
هذه الفترة ، و هو سياسي يكتب في المجالات و الجرائد
التي أصدرها عن واقع المسلمين و خاصة في الجزائر و
يهاجم فرنسا و أساليبها الاستعمارية و يشرح أصول
السياسة الإسلامية ، و قبل كل هذا هو المربي الذي أخذ
على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد، فأنشأ
المدارس واهتم بها، بل كانت من أهم أعماله ، و هو
الذي يتولى تسيير شؤون جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين ، و يسهر على إدارة مجلة الشهاب و يتفقد

القاعدة الشعبية باتصالاته المستمرة. إن آثار ابن باديس آثار عملية قبل أن تكون نظرية في كتاب أو مؤلف ، و الأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر ، و قليل من المصلحين في العصر الحديث من أتاحت لهم فرص التطبيق العملي لمبادئهم كما أتاحت لابن باديس ؛ فرشيد رضا كان يحلم بمدرسة للدعاة ، و لكن حلمه لم يتحقق ، و نظرية ابن باديس في التربية أنها لا بد أن تبدأ من الفرد ، فأصلاح الفرد هو الأساس .

و طريقته في التربية هي توعية هذا النشء بالفكرة الصحيحة كما ذكر الشيخ الإبراهيمي عن اتفاقهما في المدينة: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها سنة 1913 في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم و إنما نربيه « على فكرة صحيحة

و ينتقد ابن باديس مناهج التعليم التي كانت سائدة حين تلقيه العلم و التي كانت تهتم بالفروع و الألفاظ – فيقول: "و اقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية، مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، وراء أسوار من الألفاظ المختصرة ، تفني الأعمار قبل الوصول إليها" المصدر السابق ص141. أما إنتاجه العلمي فهو ما جمع بعد من مقالاته في "الشهاب" و غيرها و من دروسه في التفسير و الحديث

والله الموفق

